السلسلة القصصية
٤٨

ثقافة ضد الحصار

بعد الجمر قبل الرماد

محمد الاحمد

دار الشؤون الثقافية العامة

وزارة الثقافة والاعلام

دار الشؤون الثقافية العامة ـ شركة عامة

بغـداد ـ ٢٠٠٠

طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة ــ شركة عامة
حقوق الطبع محفوظة
العنوان : العراق ــ بغداد ــ أعظمية
ص.ب. ٤٠٣٢ ــ تلكس ٢١٤١٣ ــ هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

ثقافة ضد الحصار

٤٨

بعد الجمر .. قبل الرماد

قصص قصيرة

محمد الاحمد

بغداد ـ ٢٠٠٠

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد
(٧١٩) لسنة ٢٠٠٠

حارة زمن

(١)

عند صياح اول ديك معلنا قدوم الفجر .. يقدم بصمت مريب ثلاثة رجال مسلحون متخفون تحت جنح الظلام الذي بدأ يحل قليلا كسروا الباب ودخلوا عنوة .. بعد لحظات قليلة سمع صياح امراة مفجوع ملأ الحارة ، واخذت تركض عارية تاركة بيتها على ما فيه

(٢)

تدافع الرجال والنساء .. لشيوخ والصغار الى عمق البيت المنكوب ، واخذت همهمات الاستنكار تملأ المحيط مما رأوه من منظر بشع ..

(٣)

قال احد رجال المقهى :

— فعلتهم نمت عن تحد كبير ذي معنى ..

— قال آخر :

— يقال ان المجنى عليه كان قد اعتدى على احدى البنات وكانت

هذه هي النتيجة ..

سأل آخر ..

ـ كان الرجل بيننا ذا سلوك حسن ولم نر منه الا الجميل

وأضاف آخر :

كان معينا لنا فيما نجهله من امور ..

كانت النظرات تتوجس في الكلام اشاراته ودلالاته وتنتقل العيون من بعضها الى بعض ..

(٤)

قالت احدى النسوة :

ـ امرأته غريبة عن حارتنا ونجهلها

ـ استغفري ربك يا امرأة

قالت اخرى :

ـ يقال عنها كانت متزوجة من رجل آخر .. تركته وتزوجت من القتيل ..

فقالت اخرى تغير مجرى الحديث :

ـ وماذا عن التحقيق ؟؟

لم يتضح شيء بعد .. فقد بدأت الشرطة تحقق في كل مكان

ـ سمعت من زوجي ان الفران قد رأى ثلاثة رجال . قاطعتها اخرى :

ـ لا يمكن اطلاق احكامنا دون ومضة حقيقة .

(٥)

كان النهار يتسع ليلا ، والخوف كامن فوق نهايته . ولا احد يعرف قعلة من ؟.. لا احد يدري ولا احد يخرج الى بقية اعماله كل مقيد بالتحقيق .. سيارات الشرطة ملأت الشوارع كالحصى . صارت العيون اكثر قلقا ، وتوجسا .. لاي شيء . صارت الحارة اكثر خوفا مما مضى .. صار الكل متهما بالفعلة ، وصارت الفعلة تتهم الجميع !. ورحت الشرطة تبحث بدقة متناهية بحثا عن خيط يدل على الفاعل الفاحش .. الدكاكين اقفلت ، والابواب ايضا .. لشوارع لا تمر بها الا الشرطة . صار الكل مطالبا بالتزام مكانه حتى يتسنى البحث .. فتشت كل البيوت .. قلبت رأسا على

عقب .. كان البحث جاريا ساعة بعد اخرى ، ليلا بعد نهار، يوما بعد يوم في كل بيت بات الكل معرضا للتفتيش والتحري .. ظل الخوف اكبر من الجرم يطوف الحارة ..

(٦)

قال الجار لجاره من خلال الحائط :

تضاربت اقوال الزوجة مع اقوال القران ..

وقال الشيوخ لبعضهم البعض :

ـ ليتهم يسألون الكبار عما يفعله الصغار ..

قالت احدى الأرامل :

ـ يا حسرتي على القتيل .. كان كالبدر في ليل الحارة الحالك كان يشدنا عندما يمر الى بيته بدماثة اخلاقه وكل شيء ..

(٧)

في الماضي كانت الزوجة اكثر حبا لزوجها ، وكان الزوج اكثر وفاء لزوجته . لكن الليل الذي أفل أنهمر فاجعة ومصائب ..

(٨)

لطم الاب ابنه الصغير صارخا

— من اين آتي بالطعام والدكاكين مقفلة والشوارع لم تفض هي الاخرى الى مخرج ..

(٩)

تشاور حراس النوبة الثلاثة فيما بينهم .. عندما احسوا بان هناك من يحاول التنصت عليهم ، فقالوا بصوت واضح وجهور :

— القضية مرتبطة بالشرف .. فعلتهم دلت على ذلك ..

قال الاخر :

— كلنا تحركنا صوب المكان فلم نر احدا يخرج سوى زوجته ..

قالت احدى العيون المنتشرة في الحارة :

— سمعت ان علاقة سابقة كانت تربط الزوجة بالقران وقد يكون اليقين بينهما ..

(١٠)

الليل يأتي ويتداخل مع دجنة اخرى ، ويحل نهار آخر ، وآخر .. بينما التحقيق ما زال جاريا شاغلا الناس عن حقهم في العيش !!

● اليوم السابع ١٩٨٨/٥/٢

... لم أع ما يدور حولي سوى اني افكر كثيرا بذلك الشيء الذي كلما فكرت ان ارسمه واحدد ملامحه اجـدني قد رسمت شيئا مختلفا ، وبعيدا بملامحه وشكله وكل خطوطه الجميع شهد بمهارتي في الرسم ، الجميع طلبوا مني ن ارسم لهم اشكالهم ووجوههم . طلبوا مني ذلك لصدق رسـومي التي تنم عن براعتي ودقتي . احسني صادقا جد كلما رسمت وجها ويأتي ذلك الرسم مطابقا تماما لما اشعر به تجاه الشخص الذي ارسمه ، اذ اجد اسلوبي العفوي مباشـرا مـن دون منمقات ومن دون اي تمويه في الخطوط كما يفعل غيري من المجربين ، واني على يقين بان الفن هـو حـالة من الصـدق تغرقها الفوضى !

بحسية عالية صرت احدد كـل ما يطاب مني رسـمه اجتماعيا ، كينونا ، وفسلجيا ، كي اضعه في ترتيبه الدنيوي الذي تجهله نفسه !!

في الاماسي بعد كل عناء افز كمن تشتعل من حـوله الاشياء وتبدو لي السنة اللهب كأنها تضحك مني وتسخر من نومتي الهانئة . وهذا الذي يحدث معي يشعرني بالاختناق .. يغلي المكان في سكون الليل البارد ، أتحسس اجزائي غير المحترقة فاضحك من نفسي ، لانني قادر على رسم ذلك الشيء ذي اللسان الاخاذ الذي يبتلع كل ما حوله ، شيء له شـكل

مريب بوجه مقيت ، وكريه !.. في اليهار احمل كومة اوراقي وارسم ما يروق لي مرتكنا زاوية من عالمنا المزدحم متناسيا كل ما حولي من منغصات مركزا في امتداد الخطوط وتقاطعها القاسية ، مشذبا النقاط وموصلا الاقواس لتظهر التفاصيل امامي بجبروتها الذي صيرني فاحلا الى درجة عجزي عن القيام باي عمل سوى الرسم .

وجوه الاطفال الذين تشدني اكثر من سائر الخلق قد كبرت وصارت كالنبتة التي في حديقة الدار ، وارفة الظل ، البيوتات الطينية استبدلت بعمران صار يزحف على الفراغات الكونية ، ويملأها بالزحام وكتل الخرسانة غدت مدنا ممتدة ومتواصلة مع بعضها . كانت خطوطي كلها تقودها قوة لم اعد اجهلها تلتم وتتقوس وتقود يدي الى ما في عقلي الباطن ، فتنحني الخطوط وتشكل شكلا لا اقدر على نكرانه كالخبز !!

اللهم نعوذ بك من الفقر وجفاف المخيلة ..
كما نعوذ بك من شرود الذهن لما نحسن التفكير فيه ، ومن العجز لما نتخلص منه .

● صحيفة الجمهورية ١٩٩٥/٥/٦

فراشـــة

(١)

الاب

جذبني الضوء فدخلت من فتحة صغيرة كانت في زجاج النافذة .. متخلصا من العتمة القاتمة . الا ان الوقت لم يكن كافيا ، لآحط في مكان ارتاح فيه ..

(٢)

الابن

ما ان رأيتها حتى طاردتها من مكان الى آخر . امسكت لها مضرب (التنس) الذي يعشقه أبي ، ورحت اتنقل خلفها متابعا اياها ، مطاردا لها من النافذة الى طيات الستائر ومن زاوية الى اخرى .. اوقعت اقداحا غالية ، زهريات جميلة ، وتحفيات نادرة .. اختلطت تذراتها على الارض .. مزقت كتبا ، واطارات واوراقا دون ان افل منها .. بينما امي مشغولة عني بضيفها غير مبالية بالرغم مما احدثته من ضجة بالغة ..

● الاتحاد الاماراتية ١٩٩٩ م

(٣)

الاب

لم انتبه الا في اللحظة الاخيرة اليه يطاردني بمضرب (التنس) الذي أعشق . فانحشرت بين الارض ، والباب ، فدخلت متخلصا من الضربات المميتة .

(٤)

الابن

لن ادعها تفلت مني . سأطلب من امي ان تفتح لي الباب ، وسأستأذن من الضيف واراهنهما بانني سأمسكها ، واضعها في (البوم الصور) كما تحب امي ذلك .

(٥)

الاب

كأني فزرت من كابوس ، حيث وجدت دمي يفور وندي متلطختين بدم الجسدين .

(٦)

الابن

بقيت اطرق الباب ، وما من مجيب .

واو ، طاء ، نون

حاجة لشيء ما ، لا اعرفها • وغير قادرة كل خرائط العالم على تحديد حدودها •• تلك من الرغبات المتعارضة والمتداخلة مع امتداد من الطموحات ، والاوهام كل ما اعرفه انها تبدأ بحرف (الواو) الطويل المشوق القد ، والقوام المتشكل بالدم ، المتعارض مع الوجه من مفردات قاموس حسي لم اقدر على تدوينه اعترافا بعقلي الواعي• اجلس على الارض مقهورا من اللا تحديد ، انكمش على حدود جسدي الواهن انكسارا •• يمتد بذهني كله ، ومشدني عن التواصل مع كل العوالم المتلاحمة خارج ذاتي • احس ببرودة البلاط •• شلالات خبة تجرفني كي انبطح متلاحما مع الارض ، وهي ترفضني • باردة ، ولا تقبلني •• ضئيلا تافها — بعيدا عن احلامي ، وآمالي الكبار • دفق من وجد عنيف يجري حيث لا اقوى على مقاومته • برودة نشبة تتدفق كلما لامست الارض بمحبة ، أواه •• كيف تأتي (الطاء) من طائر عر ، وتحزن عليّ (النون) ؟•

النصوص

كادت النصوص البليغة تهزمني ، لولا اني كنت ابعد ايغالا في رؤيتي ، وابعد وثوبا في مخيلتي . كادت النصوص تتشكل من اربعمائة الف عين مغيبة عن الاشجار التي يرقصها الهواء ، وثمانية وتسعون الفا بعد المائة من الارجل المقيدة بزحام تتكدس البعيدة عن الخطو الواصل الى مساحات التوسع المنغومة بين الحروف المتشكلة جملا ميتة لا تهي الابداع .. بعضها لو احصيناها عبر زوج الاذن ، والبعض الآخر عبر الفرادي لفرغت الورقة من الاجساد المفرغة من الارادة الاذن شاهدة العصر ، فكادت النصوص البليغة تهزمني لو لم تكن سليمة المعنى .

● القدس العربي ٩٨

ذكرى

.. هما في افق حزين كاب . عيناهما في اكثر الاحايين تلتقيان بنقائض العالم الحديث ، فيتسمان لبعضهما ، ويبقى قلبها وقلبه يخفقان بدقق غريب .. تعودا على الابتسام في احلك الظروف ليضاء من حولهما الليل الاسود الكثيف .. ككل صباح تعودت ان تحمل اليه وردتها القانية ، فيقبلها لها قبل ان يشكلها نها بشعرها الابنوسي الهادر اي عمق قلبه العطش ، رغم الجوع المتشكل في جوفيهما كصخرة موجعة ثم تتحرك .. بيديه الرجوليتين يدفع الوردة برفق لتستقر بين الخصلات ويداعب فؤادها الدافىء بأنامل راعشة ..

.. ككل صباح مفتوح بالامل تبقى الوردة الذابلة مشكولة في شعرها الذي صار ابيضا . فلا تمل انتظاره حتى يعود كل ليلة طيفا يسقي لها وردتها التي تجعلها كاملة البهاء .

● القدس العربي ٩٨

اذا تكلم عن نفسه

.. وما عرفت اني كنت بتلك الكثافة من الاحتيال والاجرام مختلا بالسطوة والسلطة ولم يمنعني حاجز لما اريد، وافال ما اشتهي ، وارغب دون ثمن او جهد يذكر . حريتي في التفكير والتعامل مع الحياة تفوق كل الحريات .. اتحرك بالفعل والزمن الى مشاعية تضادهما بيسر انفلت كما شعرة من عجين . ضحاياي الاموات منهم طمرهم النسيان البعيد والاحياء يملأون المدن التي ولدتها قريتي الصغيرة الحالمة بحب (الشاخة) .. المدن المجاورة والمحاذية للنهر الذي غيرت مساره من اليمين الى اليسار وجعلت ماءه يجري بشقين متعاكسين في المرواح ، والمغداة .. (قالوا لامي العجوز الهرمة وعيونهم مليئة باندهشة والحيرة من امري :

ـ ليتنا لا نظلمه بظلم الرجل الذي عرفناه..ليتك تثبتين ان الله يخلق من الشبه اربعين)

.. ما اكتشفته بعد فوات الاوان وبعد ان تشابكت المدن بالقرى ، والقرى بالمدن باني الظالم الجبار المهيمن الى الحد الذي جعل من الناس حولي متشككة غير مصدقة باني اصبحت في قبضتها ـ الا برغبتي موقنة باني من يريد لنفسه

ان يقيد بأقسى السلاسل صلابة وثقلا ... اسير بينهم بكبرياء حيث ينقادون مرتعبين حيارى لا احد من الكدس الهائل من الناس كان يجرؤ على الاقتراب مني او ينظر الي بدقة . يحدقون بي وكأنهم يصوبون نظراتهم الى المجهول دون ان يقوى احد منهم ليقول في وجهي كلمة واحدة اكتشف منها سوى ذلك النهر الذي عراني .

* . . . *

عجوز

فض مغلف رسالة وصلته من صديقه الذي يناهزه في العمر ، وقرأ « .. بعد أن شاركتني صديقتي الجميلة سنتين من حريتي في المكتبات ، رحلات التزلج ، صالات الاوبرا ، وجنون الموسيقى .. عادت الى بلدتها تاركة معي في السكن صديقتها التي كانت تناهزني في العمر ، وهي على قدر كبير من الحيوية والجمال ، فسألتها مرة لتكون صديقتي بعد صديقتها ، وعجبا سمعتها ترفض بحدة ولما اصررت على معرفة السبب قالت ببساطة (لانك عجوز) !

قالتها بكل جدية وجعلتني اقترب من اول امرأة محدقا في قسمات وجهي فرأيت عدة اخاديد متكلسة ، وغصونا عميقة فجوتين لعينين موشكتين على الانطفاء كأني أراهما لاول مرة » ..

طوى الرسالة جانبا وراح يتحسس شعره الابيض دون ان يجرؤ على النظر بمرآة ، وهو يقول :

ـ حقا يا صديقي عشنا بالمرارة حياتنا مضاعفة !.

● الاتحاد الاماراتية ١٩٩٨

في ربيع دفين

.. عندما فتحت زميلته الجميلة الكتاب على تلك اللوحة التي كانت بمتنه ، رفع كلتا يديه الى على وخبأ رأسه بينهما .. ساعتها وقف طويلا الى فرشة جدارية ـ يتأملها بينما بقي اخوه خلف الجدار من الجهة الاخرى يهمس في اذن ابنة خالته التي كانت تقارنه عمرا ـ آخذة بالضحك المتواصل بصوت جهوري تحاول ان تثبت للجميع بانها اكبر من قريناتها، وامتدت اللوحة تلهب خياله .. ثمة عازف بآلة وترية يحرك اصابعه فوق اوتارها بسحر وروعة ، وجناحاه الكبيران يرعشان بنشوة لانطلاق ثلاث فتيات يرقصن فوق عشب أخضر يلقفن الفؤاد ، ويدرن به على فضاء حر متداخل الى عمق بعيد ، ضحكاتهن المبهمة تخترق الأزمنة وتميد بالارض من تحته .. حتى جاءته صفعة ابيه على اذنه ، واحدثت فيها طنينا وألما بينما فر أخوه تاركا البنت قريبة منه، وظل الضرب المبرح لا يظل الطريق الى وجهه حتى تساقط الدم الدافىء منه الى الارض . بقي الزمن متوقفا وهو يهرب بوجهه بعيدا لا يدري ما سيقول لزميلته وكأنه يجابه حقيقة بقيت دفينة اكثر من عشرين عاما !!.

نقد

.. ثمة اوراق تتطاير . وايد تتلاقفها . اخضلت الاوراق بالاصابع المعروقة ، وانحلت ألوان الاظفار على الورق الذي أكل من الانامل مساحة الحامها . امتزج متحول الشيء الى شيء آخر مغايرا لسمة اساسه ، اختلاط بيني توضح جليا ، فلم يعد لما ليس ادري اي معنى .. سوى اني احس بمجاهل ما يتقدم علي ، والي . أحس بفداحة كدست انحسار الانسانية الانسان . كم حاولت ان اميز الوجوه المختلطة كماء امتزج بماء وجهي ، لم استطع . اختلطت علي الوجوه ، وتصيرت بكل قطرة صورة ، فلم أفرق بين ما حولي ، وما بعدي . لا افرق البائع من بين المشترين ، ولا البضاعة من النقود .. اتلاشى بينهم ولست ادري ان كنت اتداول بين المتداولات أندفع لا اعي كيف يتواصل هذا المزيج التبادلي العنيف .. حشرجات عنيفة تجري بينهم وما بي ان أميز كل شيء من اي شيء اختلط به ، على الرغم من

احساسي بأني أتلاشى الى حد الضياع محشورا بين الجمع الملتحم المتشاكل مزيجا تضطرم به الفوضى .. كم يشطرني ذلك وان كان بلا هدف ، انفلاتي من كل ذلك اليأس القاحم لي كل خلية من خلايا جسدي .. ثمة اوراق تتطاير يوزعها الهواء كأنعدام وزن يطوف في الفراغ . اطير معها كقشة حملتها الريح مثلما ورقة بين الاوراق المتطايرة وجهتي الضياع في طريق اللا وصول ..

* . . . *

كابوس

.. في الليل حمل فأسه ، وظل يضرب بها يمينا ويسارا .
كانت الاشياء من حوله تسقط كأغصان جادتها يد حطاب . الذي
نزل على الارض غطاها كبركة قانية ، تدفق في الشقوق ..

ربما حملوه ليلة البارحة مكتوفا ، وحلت عليه الضربات من
كل صوب ، ولم يتحملها حتى فقد وعيه .. كاد يتفجر من شدة
الضغط والهول . بقي الفأس معلقا بين اصابعه ، وبقيت اليد
تحتكم على الاصابع ، حدق الى الايدي التي تعلقه في فضاء
مفتوح ، فوجه اليها ضربته التعبى بقوة ، وبوحشية ما كان يتلقاه
.. تساقطت الايدي عنه كلما كان يضرب بقوة كان يتأكد من
حريته .. كان الدم ساحا في امتداد الساح ، غزيرا .. يتكتف
على الارض ويغطي وجهها . فلما انتصب بقوة قدميه المتورمتين
على ارض لينة غاص بها ..

تشبث بما كانت تملىء بها قبضته ولم تكن فأسا في ليل
خريفي بارد عات .

سـؤال

صديقتي :ـ

رقصات ألم كلماتي ، تحط غرقى في بحر التلاشي . فأي الطرق أسلك .. يسلك ضياعي وأنا الوحيد أهـوى خطوتها ، وايقاعها المجنون تفضحه قسماتي .. رقصات وجع احلق بها ماخرا عباب الظلمة .. عابرا جبروت الغربة .. وحيدا في لنشوة .. صائتا بالفراغ .. فأي الشمعات أوقد ونهـارنا فائض بالعتمة ، وبأي الاعياد احتفي ودخاننا يعيث بنسمة الهواء الصافية ؟؟ أي المدن تأخذني وحيدا في النشوة صائتا بالفراغ وانـا بلا خطوة حبيبة أهوى خطوتها ، وايقاعها المجنون ؟!.

* . . . *

مجلة الصدى الاماراتية ١٩٩٩م

— ١ —

الصديقان الغريبان

ـ لكم يصرعني صوتك اليائس

ـ أفق يا صديقي ..

ـ أود ان انتزعك من عمقي .. أود لو أحرر نفسي من قيودك الحكيمة .

ـ أفق لقد وطنا ..

ـ أحذريني فقد نفد صبري

ـ ياه .. أفق يا صاح بدأوا ينتبهون الى هذيانك ..

ـ سأحطم رأسك بالفأس ان لم تستجيبي ؟

ـ أوه .. لقد عطت رائحة القيء النتنه

ـ سأجول الدنيا حراً .

لا تعبأوا به .. مريض أوصله الى المستشفى

— ٣ —

ـ إتكىء عليّ سأحملك .

ـ البيضة أم الدجاجة ؟

ـ لا ترفس هكذا بقدميك .. ستسقط

ـ الخف أم المدارس أفرض ؟

ـ أثبت أرجوك .

ـ الهم أم اليأس الذي حملني إليك ؟

ـ أهدأ سنصل حالا

ـ ليتني أملأ معدتي لا تمكن من القيء

ـ تريد أن تأكل ؟

ـ أي فعل ؟

ـ لكن الليل في هزيعه الاخير

ـ تلك ليست بمشكلة

ـ تاكسي ..

ـ المشكلة هي الصبر

ـ تاكسي ..

ـ فكيف تتحمل بلاءه

ـ الملعون لم يقف

ـ تظنه يخاف

ـ لا أدري .. سأنزلك لقد تعبت

ـ المشكلة هي الصبر

ـ لم أعد ادري

ـ تعال نلعب كما يلعب الصبية

ـ لم أخطىء أن قلت مجنونا

ـ هنك شجرة .. تعال .

ـ اترك يدي

ـ تعال يجب ان تلعب معنا

ـ يبدو انك تفتعل الجنون

ـ لايهم تعال نعود صغارا

ـ أرجوك تمهل .. لا تذهب بعيداً .

— ٤ —

ـ ليتها تحبك بقدر حبك لها .

ـ أسكت أرجوك

ـ .....

ـ تحبني

ـ دعني وشأني

ـ بدأ الدم ينزف لقد آذتك حافة المائدة

ـ دعني وشأني

ـ سيغرقك الهم .

ـ إن نجوت منه تعال سريعاً انقذني

ـ أتسخر ؟

ـ بل أحلم

ـ الخمرة جعلتكَ تعبر بحارا أبعد مجالا من الحقائق التي تحوطنا .

ـ أسكت أرجوك

ـ بدأت تهرب

ـ أهرب من هزيمتي وهي تملأني

ـ هذا اعترافك أنت

ـ خائنة

ـ أياك أن تخبر أحداً بذلك

ـ خائنة !

ـ اترك تلابيبي لقد ضاق تنفسي

ـ ٥ ـ

ـ انتظر .. لقد ودعتها هذا الجيب

ـ على مهلك ستجدها

ـ أين ذهبت ؟

ـ أتذكر ذلك جيدا .. وضعتها هنا

ـ حاول بصبر

ـ لا تقل اني ثمل .. لقد كانت هنا .

ـ إن لم تسقط منك في مكان ما ستجدها

ـ اللعنة

ـ على مهلك فتش بقية الجيوب

ـ سأكسر الباب

ـ سيصل الصباح

ـ وحتماً سأجدها

ـ أمنية العاجزين هذه

ـ اللعنـــة .

ـ ٦ ـ

ـ هات بقية اللتر

ـ يكفي فقد شربنا الكثير

ـ الموت لا يأتي للمنتشين

ـ أنا لا أريد

ـ بئس المصير

ـ هـــا ؟

ـ سأشرب أنا ويأكلك الهم .

— إنتظر لا تكسرها لقد وجدتها

— أخرجها اذن ؟ .

— هي بين يدي وأنا أبحث عنها

— هـات

— خـذ

— أحس بان جسدي قد بات طوعي الآن

— خـذ

— انظر الى اليمين .. هناك داخل سور تلك الحديقة

— خذ وافتح الباب

— هناك امرأة متلفعة بعباءتها ومتكئة على الجدار

— لا أكاد أتبين شيئاً بسببك بلاني ما شربت

— متكورة في ذل .. تعال نرى ماذا وراءها ؟

— أحمق .. وراءنا مشوار الصباح الطويل

سيطردنا المدير .

ـ تعال نرى ..

ـ كيف تسنى لك الرؤية عبر العتمة .

ـ أحمق ألا ترى ؟

ـ لم أتمكن من فتح الباب وتريدني ان أمد بصري بعيداً ويبدو لي انك واهم ..

ـ أحب أن أسرك سراً

ـ في بئر عميق ..

ـ لم أكن زوجها الشرعي لحد هذه اللحظة

ـ من هي ؟

ـ آه ..

ـ ٨ ـ

ـ لاتطفر السور سيظنونك لصاً

ـ سأنقذها من ذلهـا

ـ سأتركك وحدك أن لم تعدل

ـ الى الجحيم

ـ أحس بالعياء .. سأذهب للنوم

ـ الى الجحيم

ـ بدأ البرق .. سيأتي المطر .

ـ عساه يساعدني في رؤية طريقي أليهـا

ـ أرجو أن يكون كيساً للقمامة الذي تراه امرأة

ـ إذهب عني .

ـ وداعا سأمر عليك غداً في سجن المدينة .

ـ إذهب عليك اللعنة

ـ ٩ ـ

ـ كفى ضحكاً

ـ أنت دائما طافح على سطح بحر من الوهم

ـ كفى سخرية

ـ فراغ المرأة عندك هم كبير

ـ سأعرف طريقة لاِسكاتك

ـ لا تستحق منك أن تفكر بها أصلا

ـ أحبهـا

ـ أترك تلابيبي لقد ضاق تنفسي

ـ ستسكت رغماً عن انفك ..

ـ اتر ... ك ..

ـ هـا .. هـا .. هـا ..

ـ ... ...

* ... *

انفلات

— ١ —

في الليل يحدث الهوس ذاته ..
يتفجر الجوع المؤرق .. أحاول النوم فلا
أستطيع ، فأدلج الى ممرات مشوقة مغلقاً
أرقي ..

— ٢ —

تابعتها من زقاق الى آخر .. حتى
دخلت أحد البيوتات الصغيرة في حي شبه
مهجور .. لم تضحك لي فتاة بمثل ضحكتها ،
فصرت ناعما الى هديل ضحكتها الحلوة مرتجيا
هنائي ، منتظرا لها كل ليلي ...

— ٣ —

ألم توسط بطني كأن أمعائي يلفها محور يدور بسرعة بليغة ، ويشدها بقوة غريبة .. جمر يسعر بنار تمور .

الظلام دامس جدا .. لا ضوء لأرى ، امد يدي بأتجاه مفتاح الضوء .. يصدر صوتا ، ولا يأتي الضوء .

الالم يشتد أكثر ، بطني تكبر يخيفني هاجس انفجارها ثمة جفاف في حلقي — حاجتي للماء تكبر . الألم يشتد النار من الداخل تنفث لهيبا حارا يخرج مع زفيري . أحاول الحركة فلا يستجيب لها جسدي .

يخجلني الموقف .. بطني متكورة ، يعاودني

الشك بأني تحولت الى أمـرأة .. مثلمـا ، تحـول « كري كوري »[1] الى صرصار .

يداي وحدهما حرتا الحركة .. ألمس صدري ، ولا أجد أثـراً لشكي !

الشيء في داخلي يتحرك هوجا .. الالم الهائل يدفعني الى صرخة أخرى .. يتصاعد من البعيد صوت صراخ طفل .. لو أستطيع الضحك .. أي لعنـة ، وأي ألم ؟ .

لعله قادم من أحشائي ؟

أيكون المتحرك جنينا ؟ مـن يكـون والـده ،

---

(١) بطل رواية المسخ / فرانز كافكا .

يا ترى ؟ أو اكون مثل الآلهة « آتوم » أو مثل تلك ؟

فمن يصدقني بعد الفضيحة يا ترى ؟

يا لوجعي ؟!

— ٤ —

تابعت الدروب المؤدية اليها .

حاولت لقياها ، فوجدت الدروب كلها تأخذني إليها ، ولا القاها ..

— ٥ —

تساءلت مع نفسي من يكون هذا الزائر الغريب .. أتذكر من ليلة البارحة بأني ما فتحت الباب لطارق .. حدقت في ملامح وجهه .. تقاطيع وجهه تطابق تقاطيع وجهي .

حاولت تلمس جسدي ، كأني بقيت بلا

جسد فوق سريري ، وأفلت مني جسدي !!

لا أدري .

أليس مرضاً نفسيا ـ انفصاما .. لست أدري ؟ ..

قلت له :

ـ (من أنت ؟)

كأنه لم يسمعني .. حركت عينيَّ في الاتجاهات كلها ، وحركها هو مثلي .

تحرك صوب الثلاجة فتح قنينة ماء ، وشرب بعد ان شعرت أنا بالعطش .

من أين جاء ، وماذا يريد ؟

رغبت في أزاحة ستارة النافذة ليتسلل الضوء ، فتحرك تلقائيا الى النافذة ، وأزاح الستار .

الحيرة تملؤني .. جسدي سليم ولم يفارقني أبدا .. اليدان ذاتهما .. الساعة البلاستيكية في معصمي مازالت تعمل بأنتظام ،

القدمان بهمـا نفس الجوارب التي أخذتهـا من حاجيات أبي .

يا للمفارقة ، قسماتي ذاتهـا .. طولي .. لون بشرتي حتى قميص النوم ذاته كأني أمام مرآة وتمردت عليّ صورتي ! !

هل أنا في حلم ؟ أم مرض ؟

يا لوجعي ..

— ٦ —

وقفت عساني أستدل الى مستقر ! .

— ٧ —

تقلبت على جنبي حائرا ، هل انجبت نظيري ؟ أحاول النهوض ولا أستطيع .. ربمـا سيجيء أبي ، ويراه في بيته .. سيفرح دون شك ، بعد أن يطردني متخلصا من متاعبي له !

يا لوجعي ...

— ٨ —

أراك كما الشهب المشتعلة في السماء المفتوحة ، ومضا على قلبي تأخذيني كالخطف مأسورا بطلع شامخ بين لج الخيال ، والمتاعب .. خضم كلام صامت .. أتحرق الى جدية المعنى وعبثه .. نسغ الى ورقتي الذابلة ؟

— ٩ —

علي التخلص من وجوده !

— ١٠ —

أسيلة الوجه بقامتها الهيفاء .. مدّت لي يدها قبل ان تدعني الدخول الى غرفتها الكابية ، بضوء شحيح اخترقها من ستارة ملطخة ببقع صفر مقرفة ، رائحة غريبة تطوف في فضاء الغرفة الفارغة الا من بساط أسفنجي أبقع .

كانت عيناي تجولان في عينيها الحلوتين ، شعرها مصفوف بلمعة أخترقت الالوان الضحلة ، وانتشرت في سحرية .. وددت لو

— ٨ —

أراك كما الشهب المشتعلة في السماء المفتوحة ، ومضا على قلبي تأخذيني كالخطف مأسورا بطلع شامخ بين لج الخيال ، والمتاعب .. خضم كلام صامت .. أتحرق الى جدية المعنى وعبثه .. نسغ الى ورقتي الذابلة ؟

— ٩ —

علي التخلص من وجوده !

— ١٠ —

أسيلة الوجه بقامتها الهيفاء .. مدّت لي يدها قبل ان تدعني الدخول الى غرفتها الكابية ، بضوء شحيح اخترقها من ستارة ملطخة ببقع صفر مقرفة ، رائحة غريبة تطوف في فضاء الغرفة الفارغة الا من بساط أسفنجي أبقع .

كانت عيناي تجولان في عينيها الحلوتين ، شعرها مصفوف بلمعة أخترقت الالوان الضحلة ، وانتشرت في سحرية .. وددت لو

— ١١ —

خرجت ناكصا بذلٍ التشفي ..

— ١٢ —

من شيء الى آخر .. من حلم الى آخر
وجدتني أغفو مستسلماً لنومة غير هانئة مملوءة
بالكوابيس ، والاوهام ؟!

العودة

لا تغلواها وأدلواها دلوا
أن مع اليوم أخاه غدوا

— بن بري —

.. مسافة طويلة تفصلني عن مدينتي .. ركبت مع (أحمد) سيارته وظلت تعدو بنا الى اهلينا .. كانت الأزمنة كلها في ذلك الحين تلقي بنقيضها من لهفتنا فرحتنا بالاجازة .

ماذا لو أسبل عيني وأصل في التو .. ماذا لو اجتاز كل هذه المسافة الفاصلة بعشر من الثانية .. ماذا لو أجتازها وتنتهي كل المعاناة .

« ماذا تنوي عمله في اجازتك الاولى هذه ؟ »

قالها عندما لحظني غارقا في صمتي .

ـ احضن أهلي وأقبلهم بشوق وأحدثهم عن التفاصيل التي عشناها بعيداً عنهم !!

وبقيت أقول ببراءة :

ـ سأحطم كل حواجز الغربة .. سأتحدث يا أحمد عن جدران النار التي تخطيناها بخفة أمال كبار .. وعن عجز الموت الذي فشلت أحتدامته بمحلتنا الباسلة فأستطردت سائلا أياه :

ـ وأنت ما الذي تنوي فعله في أجازتك . ؟

مد بصره اليّ ، وعاد من صمت قصير نفذ فيه صبري .

« مع خطيبتي اجول المدينة كل لحظة من جديد » ..

ثم يتنهد بأرتياح ، ويقول كالحلم :

« لو تعرفت الى امرأة مثلها لعذرتني ولجن جنونك .. ماذا ستقول في عينين واضحتين كلمعة الفرح تستل لك خيوط

احزانك وتطلقها للريح .. ماذا لو ابقى قبالتها أرتشف منها ما يروي العطش » .

ظل يسهب ، بينما شردت بأفكاري بعيدا وأخذني الصمت الى ايام الدراسة ..

« ــ بدأ حبها ينبض في عروقك .. وبدأ توردك يفضح ما تخفيه .. انت تحبها ..

قلت لزميلي : من تقصد ؟

ــ تظن حباً مثل حبك خافٍ علينا .. أنت واهم » .

أنتبه الى الطريق .. أحدق في الافق الممتد امامنا ، وكأني أريد الوصول الى حدوده القصوى .. هناك بدا وجهها يتضح بالضوء بأبتسامة حلوة وهي تقول : (تعال .. تعال) .

العشب نام في كل مكان .. أحاول فتح النافذة ويهب نسيم مضمخ برائحة عشب محروق ضرب جبهتي واحدث بي رعشة خفية كما لو ان يدها قد مستني .

« ــ هي أيضا تهتم بك صارحها قبل فوات الآوان .

ــ انا خائف من مصارحتها خشية أن تجفوني ؟

ــ أقسم لك بأنها تبادلك ما تبادلها » .

أعود الى (أحمد) وهو يسألني : «بماذا تفكر ؟» .

ــ أبادر بزيارة لها في موقع عملها .. ترى هل ستذكرني

وتفاصيل الحالة التي كنا نحياها .. ام نسيت وانطوى علينا الزمن الغابر .

أبتسم بأشراق ، وقال : « ذلك يتوقف على عمق ما بينكما » .

ـ لا أدري ماذا أقول ؟

« قل بأنك عاشق متبول واخفيت عني قصتك كل هذه المدة ومن حقي ان أخاصمك » .

أدركني الصمت ، فعاود يسأل من جديد : « حقا تنوي زيارتها .. سأتي معك وخطيبتي ».

ابتسمت مرحبا بالفكرة ، وعيناي ترقبان الطريق الطويل الممل وبدا الصمت يتخذ شكلا مخيفا تسمع من خلاله هدير الهواء في الخارج الذي حمل غيوما سودا داكنة تنذر بالوعد .. بينما بلّلت خدي دموعا انسلت بهدوء وانا افكر في كيفية اختصار هذا الزمن الصعب ، وأصل الى أهلي .. وافاتحهم برغبتي بالزواج من زميلتي التي حدثتهم عنها ذات يوم .. كنت أحاول ان أطرد كل حزني الى الهواء وأطلق كل الهموم متخلصا من عفونة اللحظات الراكدة بلا معنى أو أمل ، فأزيد من سرعة السيارة وأنا القي نظرة على الافق .. هو الآخر يقاوم ويصارع كقلب الانسان .

الغيوم غطت السماء واحتجبت الشمس التي كانت تلمع بها قطرات الندى وهي تتماوج على زجاج السيارة .. تملكني

الخوف ، خوف ممزوج بفرح عظيم وانا أهدىء جيشان أفكاري .. رذاذ داخلي تساقط على شفتي مضمخا برائحة الارض ملأ الفضاء ..

مرت ساعات طوال ومدينتنا تقترب ، وتقترب على الصمت الممتد طويلا .

— يبدو اننا وصلنا خفض السرعة .

دخلنا الى المدينة ، ورحنا نتابع بشوق طرقاتها الامنة حيث بدا لنا كل شيء لأول وهلة ، الاشجار تراقصت بنسمات الليل الطيبة الاعمدة رسمت خطوطا بهية من الضوء وكأنها تعلن مهرجانا بعودتنا ، وفي لاشعور أخذت أصابعي تضغط على المنبه بدون توقف .. وخرج سكنة الزقاق يستطلعون الامر ومن بينهم أهلي ، وأهل أحمد ..

أوقفت السيارة أمام بيتهم وقبل ان أنزل انتزعت صورة أحمد الملصقة أمامي وسمعت صوته يشكرني وهو يقول :

— (سنجعل زفافنا في يوم واحد !)

أخذت يداي ترتجفان وركبتاي ايضا عندما ملأ العويل أذني !! .

● نشرت في جريدة الثورة ١٩٩٨ .

الفهرست

القصة	الصفحه
١ ــ حارة زمن	٥
٢ ــ فراشة	١٢
٣ ــ واو • طاء • نون	١٤
٤ ــ النصوص	١٥
٥ ــ ذكرى	١٦
٦ ــ اذا تكلم عن نفسه	١٧
٧ ــ عجوز	١٩
٨ ــ في ربيع دفين	٢٠
٩ ــ نقد	٢١
١٠ ــ كابوس	٢٣
١١ ــ سؤال	٢٤
١٢ ــ الصديقان الغريبان	٢٥
١٣ ــ انفلات	٣٦
١٤ ــ العودة	٤٣

طبع بمطابع دور الشؤون الثقافية العامة

ثقافة ضد الحصار

سلسلة جديدة تصدر مرتين في الشهر وبصفحات محددة ولكنها غنية بمادتها الادبية الابداعية معتمدة نتاجات الشعراء والقصاصين الشباب من الذين حجّم الحصار اللئيم الغادر تطلعاتهم في النشر وفي اطلاق أصواتهم المعبّرة عن هموم الوطن ومستقبله ووجوده وعن مضامين اللذات واستشراف سعادتها وحزنها .

وزارة الثقافة والاعلام

دار الشؤون الثقافية العامة

بغداد - ٢٠٠٠

تصميم الغلاف
جنان عدنان

السعر : ١٠٠٠ دينار

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة - شركة عامة